

التمثيل الإعلامي، التحيز، والأيدولوجيا في الصحافة البريطانية: تحليل نقدي لقضية هونيفورد

## Media Representation, Bias, and Ideology in the British Press: A Critical Analysis of the Honeyford Case

ميلود سلطان العمراني

Milood Sultan Al-Omrani

[m.alomrani@zu.edu.ly](mailto:m.alomrani@zu.edu.ly)

College of Political Science and Media Studies, Zawia University, Libya

كلية العلوم السياسية وعلوم الاتصال، جامعة الزاوية، ليبيا

### ARTICLE INFORMATION

RECEIVED: 02/10/2025

ACCEPTED: 17/10/2025

PUBLISHED: 19/10/2025

### Abstract

This study examines the Honeyford case as a prominent example of media representation and ideological bias in the British press during the 1980s. It focuses on how the media contributed to constructing a biased image of the conflict surrounding Ray Honeyford, the headteacher of Drummond Middle School in Bradford, following his criticism of multicultural education and certain aspects of Asian immigrant culture. The study demonstrates that the British press did not merely report events, but actively participated in reconstructing them through language, framing, and the selective presentation of information.

The study draws on theories of media representation, critical discourse analysis, and media framing, arguing that the media does not reflect reality in a neutral manner, but rather produces meaning within specific ideological and cultural structures. It also discusses the concept of journalistic objectivity, emphasizing that news is constructed through editorial decisions related to language, sources, and the organization of information, making absolute neutrality difficult to achieve.

Furthermore, the study analyzes newspaper coverage of the Honeyford case, highlighting the use of emotionally charged terms such as “mob” and “attack” to describe protesting Asian parents, while portraying Honeyford as a “courageous” figure defending educational standards. The study argues that this framing contributed to delegitimizing the protests of the Asian community and transformed the issue from an educational debate into a symbolic conflict over identity, race, and national belonging.

The study also explores the relationship between the media and institutional racism, explaining that media bias may operate indirectly through omission, selective emphasis, and coded narratives, rather than through explicit racist language alone. It suggests that the British press at the time contributed to reinforcing stereotypes about immigrant minorities as sources of threat or social disorder.

The study concludes that the Honeyford case reveals the powerful role of the media in shaping public awareness and producing social meanings, and that press coverage was not neutral but influenced by broader ideological and cultural assumptions. Although complete objectivity may be impossible, ethical journalism remains achievable through fairness, balance, contextual depth, and editorial accountability, particularly when addressing issues related to race, immigration, and multiculturalism.

**Keywords:** Media representation, media bias, ideology, critical discourse analysis, Honeyford case.

## المخلص

يتناول هذا البحث قضية هونيفورد بوصفها نموذجاً بارزاً لدراسة التمثيل الإعلامي والتحيز الأيديولوجي في الصحافة البريطانية خلال ثمانينيات القرن العشرين. ويركز على الكيفية التي أسهمت بها وسائل الإعلام في بناء صورة منحازة للصراع الذي نشأ حول رأي هونيفورد، مدير مدرسة دروموند المتوسطة في برادفورد، بعد انتقاده للتعليم متعدد الثقافات وبعض جوانب ثقافة المهاجرين الآسيويين. ويبين البحث أن الصحافة البريطانية لم تكنف بنقل الوقائع، بل شاركت بصورة فاعلة في إعادة تشكيلها عبر اللغة، والتأطير، والاختيار الانتقائي للمعلومات.

يعتمد البحث على نظريات التمثيل الإعلامي، وتحليل الخطاب النقدي، ونظرية التأطير الإعلامي، موضحاً أن وسائل الإعلام لا تعكس الواقع بشكل محايد، بل تنتج المعنى وفق بنى أيديولوجية وثقافية معينة. كما يناقش مفهوم الموضوعية الصحفية، ويؤكد أن الأخبار تبنى من خلال قرارات تحريرية تتعلق باللغة والمصادر وترتيب المعلومات، مما يجعل الحياد المطلق أمراً صعب التحقيق.

ويحلل البحث التغطية الصحفية لقضية هونيفورد، مبرزاً استخدام الصحف البريطانية لغة مشحونة دلاليًا مثل "الغوغاء" و"الهجوم" لوصف الآباء الآسيويين المحتجين، في مقابل تصوير هونيفورد بوصفه شخصية "شجاعة" تدافع عن المعايير التعليمية. ويرى البحث أن هذا التأطير ساهم في نزع الشرعية عن احتجاجات الجالية الآسيوية، وتحويل القضية من نقاش تربوي إلى صراع رمزي حول الهوية والعرق والانتماء الوطني.

كما يناقش البحث العلاقة بين الإعلام والعنصرية المؤسسية، موضحاً أن التحيز الإعلامي قد يظهر بصورة غير مباشرة عبر الحذف، والتركيز الانتقائي، والسرديات المشفرة، وليس فقط من خلال الخطاب العنصري الصريح. ويشير إلى أن الصحافة البريطانية آنذاك أسهمت في تكريس صور نمطية عن الأقليات المهاجرة باعتبارها مصدر تهديد أو اضطراب اجتماعي.

ويخلص البحث إلى أن قضية هونيفورد تكشف الدور القوي للإعلام في تشكيل الوعي العام وإنتاج المعاني الاجتماعية، وأن التغطية الصحفية لم تكن محايدة بل متأثرة بخلفيات أيديولوجية وثقافية أوسع. كما يؤكد أن الموضوعية الكاملة قد تكون مستحيلة، إلا أن الصحافة الأخلاقية تظل ممكنة من خلال الالتزام بالإنصاف، والتوازن، والسياق، والمساءلة التحريرية، خاصة عند تناول قضايا العرق والهجرة والتعددية الثقافية.

**الكلمات المفتاحية:** التمثيل الإعلامي، التحيز الإعلامي، الأيديولوجيا، تحليل الخطاب النقدي، قضية هونيفورد.

## المقدمة

تلعب وسائل الإعلام دوراً محورياً في تشكيل الفهم العام للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي. فالمؤسسات الإخبارية لا تقتصر مهمتها على مجرد نقل الأحداث، بل تتجاوز ذلك إلى تفسير الواقع، وتأطيره، وإعادة بنائه من خلال اللغة، والتركيز الانتقائي، والحذف، وبنية السرد. ونتيجة لذلك، لا تعمل وسائل الإعلام بوصفها مجرد مرآة تعكس المجتمع، بل بوصفها منتجاً فاعلاً للمعنى. وهذا ما يجعل دراسة التمثيل الإعلامي ذات أهمية خاصة لفهم كيفية تشكل الرأي العام، وكيفية تصوير الجماعات

الاجتماعية. وتُعد القضايا المرتبطة بالعرق، والهجرة، والتعليم، والهوية الوطنية أكثر عرضة للتشويه، نظرًا لتقاطعها مع المصالح الأيديولوجية، والتوترات السياسية، والنقاشات العامة المشحونة عاطفيًا.

يشير التمثيل الإعلامي إلى الكيفية التي يُصوّر بها الأفراد، والأحداث، والمجتمعات، والمؤسسات ضمن الخطاب الإعلامي. وعلى الرغم من أن العمل الصحفي غالبًا ما يرتبط بقيم مثل الموضوعية، والإنصاف، والحياد، فإن الباحثين قد شككوا مرارًا في مدى إمكانية تحقيق الحياد الكامل على أرض الواقع. فالقرارات التحريرية المتعلقة بتحديد القصص الجديرة بالتغطية، واللغة المستخدمة، والجهات التي تُمنح مساحة للتعبير، والمعلومات السياقية التي يتم حذفها، جميعها تؤثر في تفسير الجمهور للحدث. وبناءً على ذلك، كثيرًا ما يعكس الخطاب الإعلامي الأيديولوجيا المؤسسية أكثر مما يعكس الحقيقة الموضوعية.

تُعد قضية هونيفورد مثالًا غنيًا للدراسة في مجال التمثيل الإعلامي والتحيز. فقد ظهرت هذه القضية في بريطانيا خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين، وتمحورت حول رأي هونيفورد، مدير مدرسة دروموند المتوسطة في برادفورد، الذي وجّه انتقادات علنية للتعليم متعدد الثقافات ولجوانب من ثقافة المهاجرين الآسيويين. وقد أثارت تصريحاته غضبًا واسعًا بين العائلات الآسيوية المحلية والسلطات التعليمية، مما أدى إلى احتجاجات منظمة، ونزاعات قانونية، وتغطية صحفية مكثفة. غير أن قطاعات واسعة من الصحافة البريطانية، بدلًا من تقديم الصراع بصورة محايدة، عمدت إلى تصوير هونيفورد بوصفه مدافعًا مبدئيًا عن المعايير التعليمية، في حين صُوّر الآباء المحتجون باعتبارهم عدوانيين، وغير عقلانيين، ومصدر تهديد.

يتناول هذا المقال قضية هونيفورد بوصفها مثالًا على التمثيل الإعلامي المنحاز، من خلال تحليل نقدي يستند إلى نظريات التمثيل، وتحليل الخطاب، والتأطير الإعلامي، والأيديولوجيا، وأخلاقيات الصحافة. كما يبحث في الكيفية التي ساهمت بها اللغة والبنية السردية في تشكيل الفهم العام لهذه القضية، ويتناول كذلك القضايا الأوسع المتعلقة بالعنصرية في الخطاب الإعلامي، وي طرح تساؤلًا جوهريًا حول مدى إمكانية تحقيق الموضوعية الصحفية الحقيقية.

### التمثيل الإعلامي: الأسس المفاهيمية

لا يُعد التمثيل انعكاسًا بسيطًا للواقع. إذ ترى نظرية ستوارت هول في التمثيل أن المعنى يُبنى اجتماعيًا من خلال أنظمة اللغة، والخطاب، والرموز الثقافية. وبالتالي، فإن المؤسسات الإعلامية لا تكتفي بنقل الواقع، بل تشارك بصورة نشطة في تشكيل الكيفية التي يُفهم بها هذا الواقع. فما يتلقاه الجمهور عبر الصحف أو البث الإعلامي ليس الواقع ذاته، بل نسخة وسيطة منه، خضعت للتصفية عبر الأحكام التحريرية والافتراضات الأيديولوجية.

يشمل التمثيل الإعلامي جانبين: العملية والمنتج. فالعملية تتعلق بكيفية اختيار الصحفيين والمحررين والمؤسسات للأحداث، وتأطيرها، وصياغتها سرديًا. أما المنتج فهو القصة النهائية التي يستهلكها الجمهور. ويكتسب هذا التمييز أهمية خاصة لأن المظهر الظاهري للحياد في المنتج النهائي قد يخفي وراءه عمليات تحريرية ذاتية الطابع إلى حد بعيد.

ويرتبط مفهوم التمثيل ارتباطًا وثيقًا بمفاهيم أخرى مثل التحيز، والإنصاف، والموضوعية، والتميط، وتحديد الأولويات الإعلامية. فقد يظهر التحيز أحيانًا من خلال التعليق الصريح، لكنه في الغالب يعمل بصورة أكثر خفاءً عبر الاختيار

والتأطير. فقد تتمكن صحيفة ما من نقل أحداث واقعية صحيحة من الناحية التقنية، ومع ذلك تُنتج تمثيلاً مضللاً من خلال حذف سياق جوهري أو استخدام لغة محمّلة عاطفياً.

ويقترح إطار هول النظري أن التمثيل يعكس دائماً علاقات القوة الثقافية. فالجماعات التي تسيطر على المؤسسات الإعلامية المهيمنة غالباً ما تُشكّل الفهم العام بطرق تحافظ على البنى الأيديولوجية السائدة. ونتيجة لذلك، قد يتم تمثيل المجتمعات الأقلية ليس وفقاً لتجاربها الذاتية، بل وفقاً للسرديات التي تنتجها الجماعات المهيمنة.

وفي سياق العرق والهجرة، يصبح التمثيل الإعلامي أكثر خطورة، لأن الصور الإعلامية تسهم مباشرة في تشكيل الصور النمطية، وإثارة المخاوف العامة، والتأثير في المواقف السياسية، وتعزيز الإقصاء الثقافي.

### التحيز الإعلامي، الموضوعية، وبناء الخبر

تُعطي المهنة الصحفية التقليدية من شأن الموضوعية بوصفها مبدأً أخلاقياً أساسياً. وتشير الموضوعية إلى الإنصاف، والدقة الواقعية، والحياد، والتغطية المتوازنة. غير أن كثيراً من الباحثين يرون أن الموضوعية المطلقة أمر مستحيل، لأن العمل الصحفي يتضمن بالضرورة تفسيراً بشرياً.

فالخبر لا يُكتشف في صورته النقية، بل يُبنى بناءً.

يتخذ الصحفيون قرارات تتعلق بـ:

- أي الأحداث تستحق التغطية،
- ما التفاصيل المهمة،
- أي المصادر أكثر مصداقية،
- كيف تُصاغ العناوين،
- كيف تُرتَّب القصص الإخبارية،
- وكيف تؤثر اللغة في التفسير العاطفي.
- وكل قرار من هذه القرارات يُدخل عنصراً من الذاتية.

ترى نظرية تحديد الأولويات الإعلامية أن وسائل الإعلام تؤثر في أولويات الجمهور ليس بإملاء ما يجب التفكير فيه، بل بتحديد ما ينبغي التفكير بشأنه. فمن خلال التركيز المتكرر على قضايا معينة مع تجاهل قضايا أخرى، تُشكّل وسائل الإعلام مجالات القلق العام.

وتتوسع نظرية التأطير في هذا المفهوم، موضحةً أن الحقائق ذاتها يمكن أن تؤدي إلى تفسيرات مختلفة جذرياً تبعاً لطريقة عرضها. فقد يُصوّر الاحتجاج على أنه نشاط ديمقراطي مشروع، أو على أنه فوضى عامة. وقد يُقدّم مسؤول ما باعتباره شجاعاً أو متهوراً. فالحقائق وحدها لا تحدد المعنى.

ويرى فان دايك (1991) أن الخطاب الإخباري يعكس بنى أيديولوجية أوسع، خصوصاً فيما يتعلق بالعرق والإثنية. فكثيراً ما تعيد النصوص الإعلامية إنتاج علاقات القوة الاجتماعية المهيمنة من خلال استراتيجيات خطابية دقيقة. والتحيز لا يحتاج إلى دعاية صريحة، بل يظهر غالباً عبر أنماط من التركيز، والحذف، والتنظيم السردى.

كما تزيد الضغوط التجارية من تعقيد مسألة الحياد. فالصحف تتنافس على القراء، والقصص القائمة على الصراع والمثيرة عاطفياً تجذب الانتباه أكثر من التحليل المتزن. ومن ثم، يصبح التهويل الإعلامي خياراً اقتصادياً مغرياً، حتى عندما يقوض الإنصاف الصحفى.

وُجسد قضية هونيفورد هذه الديناميكيات بوضوح.

### السياق التاريخي: بريطانيا في ثمانينيات القرن العشرين

يتطلب فهم قضية هونيفورد وضعها ضمن السياق السياسي والثقافي لبريطانيا في الثمانينيات، وهي فترة اتسمت بنقاشات حادة حول الهجرة، والتعددية الثقافية، والعلاقات العرقية، والهوية الوطنية.

شهد عهد مارغريت تاتشر تركيزاً سياسياً قوياً على القومية، والمسؤولية الفردية، والهوية البريطانية التقليدية. وغالباً ما صوّرت الهجرة باعتبارها تحدياً اجتماعياً، بينما تعرضت سياسات التعددية الثقافية لانتقادات متكررة من قبل المعلقين المحافظين.

كما عكست النقاشات التعليمية هذه المخاوف الأوسع المتعلقة بالاندماج والتماكك الثقافي. فقد سعى التعليم متعدد الثقافات إلى الاعتراف بالتنوع الثقافي واحتوائه داخل المدارس، لكن منتقديه رأوا أن هذه المقاربات تُضعف الاندماج والمعايير اللغوية.

وكانت برادفورد سياقاً بالغ الحساسية بسبب وجود جالية كبيرة من المهاجرين من جنوب آسيا. وكانت العلاقات العرقية في المناطق الحضرية البريطانية كثيراً ما تتسم بالتوتر، متأثرة بالبطالة، والفصل الاجتماعي، والتمييز، والتنافس بين السرديات السياسية المختلفة.

كما عكست وسائل الإعلام البريطانية خلال تلك الفترة هذه التوترات وساهمت في تضخيمها. وكانت الصحف الشعبوية خصوصاً معروفة باستخدام لغة مثيرة، وتأطير صدامي، وسرديات مشحونة أيديولوجياً فيما يخص الهجرة والعرق.

يوثق سيرل (1989) كيف أعادت بعض قطاعات الصحافة البريطانية إنتاج افتراضات عنصرية تحت غطاء الصحافة السائدة. فبدلاً من تبني خطاب عنصري صريح، اعتمدت الصحف على سرديات مشفرة تربط الأقليات بالفوضى، أو الاعتماد على الدولة، أو عدم التوافق الثقافي.

ومن ثم، لم تظهر قضية هونيفورد في فراغ أيديولوجي، بل في بيئة كانت مهياً أصلاً للتفسير المؤطر عرقياً.

### قضية هونيفورد: الخلفية

تمحورت قضية هونيفورد حول راي هونيفورد، مدير مدرسة دروموند المتوسطة في برادفورد. وكانت المدرسة تخدم شريحة طلابية يغلب عليها أبناء الجالية الآسيوية، حيث قُدرت نسبتهم بحوالي 95%.

أصبح هونيفورد شخصية مثيرة للجدل بعد نشره آراء تنتقد التعليم متعدد الثقافات وبعض جوانب احتفاظ المهاجرين بثقافتهم الأصلية. وقد جادل بأن المقاربات متعددة الثقافات تعيق اكتساب اللغة الإنجليزية السليمة وتؤثر سلبًا في التحصيل الأكاديمي. وقد رأى مؤيدوه فيه مدافعًا عن المعايير الأكاديمية والاندماج.

أما منتقدوه، فرأوا أن تعليقاته تتطوي على تمييز، وعدم حساسية ثقافية، وافتراسات ذات طابع عنصري. وعارض الآباء الآسيويون هذه الآراء بشدة، فنظموا مظاهرات وحملات عامة. كما تدخلت السلطات التعليمية، وتساعد الجدل إلى نزاع قانوني وسياسي أوسع.

وفي نهاية المطاف، تجاوز النزاع نطاق السياسة التعليمية وحدها، ليصبح صراعًا رمزيًا حول العرق، والانتماء، والهوية، والسلطة.

وقد حولت التغطية الإعلامية هذه القضية إلى مشهد أيديولوجي وطني واسع النطاق.

### التغطية الصحفية والتأطير الخطابى

تكشف التغطية الصحفية البريطانية لقضية هونيفورد عن أنماط واضحة من التأطير الأيديولوجي.

ومن أمثلة العناوين الصحفية:

"فشل احتجاج الغوغاء مع عودة مدير أزمة العرق إلى المدرسة"

"الشجاعة التي لا يغفرها الغوغاء"

"هجوم غوغائي ماجور يُجبر مدير أزمة العرق على مغادرة الكلية"

هذه العناوين ليست أوصافًا محايدة.

ويكتسب التكرار المستمر لكلمة غوغاء أهمية خاصة. فالغوغاء توحى باللاعقلانية، والخطر، والعدوان الجماعي، وفقدان الشرعية الأخلاقية. وبذلك، لا يعود المحتجون مواطنين معنيين أو أولياء أمور قلقين، بل يتحولون إلى كتلة تهديدية.

وهذا الاختيار اللغوي يوجّه تفسير القارئ فوراً.

وبالمثل، فإن تعبيرات مثل أزمة عرقية وهجوم تضفي طابعًا عسكريًا على النزاع، بحيث يُقدّم بوصفه مواجهة عنيفة بدلاً من خلاف ديمقراطي مشروع.

في المقابل، يُربط هونيفورد بمفهوم الشجاعة.

وهكذا يتشكل ثنائي أخلاقي كلاسيكي:

فرد شجاع،

في مواجهة جماعة تهديدية غير عقلانية.

ويشبه هذا البناء السردى قصص البطولة النمطية.

فمثل هذا التأطير يُبسط النزاعات الاجتماعية المعقدة ويحولها إلى قصص أخلاقية سهلة التلقي عاطفياً.

وبذلك، تؤدي اللغة عملاً أيديولوجياً قبل أن يطالع القارئ التفاصيل الواقعية أصلاً.

### التحليل النقدي للخطاب

يوفر التحليل النقدي للخطاب منهجاً منهجياً لفحص الكيفية التي تعمل بها السلطة من خلال اللغة.

يرى فان دايك (1991) أن الخطاب الإعلامي يعيد في كثير من الأحيان إنتاج السلطة الأيديولوجية من خلال التحكم في

تأطير السرد. وتقدم تغطية قضية هونيفورد دعماً قوياً لهذا الطرح.

أشار أحد التقارير إلى أن أعضاء مجموعة أولياء الأمور الاحتجاجية كانوا ينسقون هتافات الأطفال لخدمة التغطية التلفزيونية.

كما ألمح تقرير آخر إلى أن الآباء المحتجين لم يكونوا مهتمين فعلاً، بل كانوا يتظاهرون بذلك.

وتؤدي هذه الصور التمثيلية عدة وظائف أيديولوجية.

أولاً، تنزع الشرعية عن الاحتجاج من خلال تصويره بوصفه تلاعباً بدلاً من كونه تعبيراً حقيقياً عن القلق.

ثانياً، تقوض المصادقية الأخلاقية للآباء.

ثالثاً، تُحوّل الانتباه العام بعيداً عن التصريحات الفعلية التي أدلى بها هونيفورد.

فبدلاً من التساؤل عما إذا كانت تصريحات هونيفورد تنطوي على تمييز، يتحول السرد إلى التركيز على ما يُفترض أنه سوء

سلوك من جانب المحتجين.

وهذا إعادة تأطير استراتيجية.

ويصنّف فان دايك هذا النوع من الخطاب بوصفه شكلاً من أشكال الدفاع الأيديولوجي عن الذات، حيث تحمي المؤسسات

الإعلامية الافتراضات الأيديولوجية الأوسع عبر إعادة بناء الصراع بما ينسجم مع السرديات القائمة.

وبذلك، لا يعود هونيفورد مجرد مدير مدرسة مثير للجدل، بل يتحول إلى رمزٍ لمداخ عن الحقيقة يتعرض للهجوم.

أما الآباء الآسيويون، فيتحولون إلى رموز للتهديد واللاعقلانية.

وبهذا، تصبح الصحافة شريكاً فاعلاً في إنتاج المعنى الأيديولوجي.

### العنصرية والتمثيل الإعلامي

لا تظهر العنصرية في الإعلام دائماً من خلال لغة كراهية صريحة. بل إنها تعمل غالباً عبر التأطير، والتركيز، والحذف،

والخطاب المشفّر.

يرى جاكوبس (1988) أن العنصرية في بريطانيا كانت تعمل في كثير من الأحيان على مستوى مؤسسي، وليس فقط من خلال التحيز الفردي الصريح. وكان التمثيل الإعلامي جزءًا من هذه البنية. وتعكس قضية هونيفورد التمثيل المؤطر عرقياً عبر عدة آليات.

فقد صُوِّر الآباء الآسيويون على أنهم:

- عدوانيون،
- غير مستقرين عاطفياً،
- متلاعبون،
- يشكلون تهديداً جماعياً.

بينما صُوِّر هونيفورد، على النقيض، بوصفه عقلانياً، مبدئياً، وشجاعاً أخلاقياً.

ويعكس هذا التباين أنماطاً أوسع من صناعة "الآخر".

وتحدث عملية "الآخنة" عندما تُصوِّر المجتمعات الأقلية باعتبارها مختلفة جوهرياً، أو إشكالية، أو خارجة عن المعايير الأخلاقية للمجتمع المهيمن.

ويتوافق تصوير الآباء الآسيويين ككتلة تهديدية مع الصور النمطية الممتدة تاريخياً حول المجتمعات المهاجرة بوصفها مقاومة للاندماج.

ومن المهم أن مثل هذه السرديات قد تبدو محايدة عرقياً على السطح، بينما تظل في الواقع معززة للتراتبية العرقية.

فالمسألة ليست فقط فيما يُقال صراحة، بل في الكيفية التي تُبنى بها السرديات.

ويرى ديمين (1993) أن جدل هونيفورد عكس صراعات أيديولوجية حول التعليم والعرق أكثر من كونه خلافاً تربوياً بحثاً.

وقد لعبت الصحافة دوراً مركزياً في تحويل هذه التوترات الأيديولوجية إلى ما يشبه "الحس العام" لدى الجمهور.

### الذعر الأخلاقي والبناء الاجتماعي للواقع

تشبه التغطية الإعلامية لقضية هونيفورد أيضاً الآليات المرتبطة بما يُعرف بـ"الذعر الأخلاقي".

ويحدث الذعر الأخلاقي عندما تتبالغ وسائل الإعلام في تصوير تهديدات مُتصوِّرة، مما يؤدي إلى خلق حالة من القلق العام لا تتناسب مع طبيعة الأحداث الفعلية.

ومن خصائصه:

- وجود أشرار رمزيين،

- تأطير مشحون عاطفيًا،
- سرديات مبالغ فيها حول التهديد،
- تبسيط القضايا الاجتماعية المعقدة.

وتحتوي سردية هونيفورد على كثير من هذه السمات. فالآباء المحتجون يتحولون إلى "شياطين شعبية" رمزية. ويتحول هونيفورد إلى ضحية بطولية. أما النزاع التعليمي، فيتحول إلى صراع حضاري رمزي.

وهكذا تُختزل القضايا البنيوية المعقدة المتعلقة بالعرق، والاندماج، والتربية في ثنائيات أخلاقية عاطفية مبسطة.

ويشجع هذا النوع من التغطية الجمهور على الاصطفاف مع السلطة المؤسسية، مع تهميش الأصوات المعارضة.

وبذلك، لا تكتفي وسائل الإعلام بوصف الصراع الاجتماعي، بل تسهم في تضخيمه وإعادة تشكيله.

#### أخلاقيات الصحافة

تثير قضية هونيفورد مخاوف أخلاقية جدية تتعلق بالممارسة الصحفية المهنية.

تشمل المبادئ الأساسية للصحافة المهنية:

- الإنصاف،
- التوازن،
- الدقة،
- سلامة السياق،
- التمثيل المسؤول.

وتبدو التغطية المرصودة إشكالية على عدة مستويات.

فقد أعطيت الأولوية للغة المثيرة على حساب الوصف المحايد.

وجرى نزع الشرعية عن وجهات نظر الأقليات.

كما بدا التأطير السردى غير متوازن أيديولوجيًا.

ولا يعني هذا بالضرورة وجود مؤامرة متعمدة، لكنه يشير إلى تحيز منهجي.

فالصحافة الأخلاقية تتطلب وعيًا بعواقب التمثيل الإعلامي.

وعند تغطية قضايا المجتمعات الأقلية، يمكن للتأطير غير المسؤول أن يعزز الصور النمطية ويعمق الانقسام الاجتماعي.

كما أن الحوافز التجارية تزيد من تعقيد الأداء الأخلاقي. فالسرديات المثيرة تجذب القراء، بينما لا تحظى الدقة المتأنية بالجاذبية

ذاتها غالبًا.

لكن ضغط السوق لا يُلغي المسؤولية الأخلاقية.  
فالمؤسسات الإعلامية تؤثر في الخطاب الديمقراطي وفي الفهم العام للمجتمع.  
وللفشل الأخلاقي تبعات اجتماعية حقيقية.  
هل يمكن لوسائل الإعلام أن تكون موضوعية؟  
تطرح قضية هونيغورد سؤالاً معرفياً أوسع: هل يمكن لوسائل الإعلام أن تكون موضوعية حقاً؟  
تبدو الحيادية المطلقة غير واقعية.  
فكل عملية تغطية تتضمن تفسيراً.  
حتى مجرد اختيار تغطية قصة دون أخرى يُعد حكماً تحريرياً.  
كما أن اللغة ذاتها تحمل دلالات وإيحاءات.  
ولذلك، قد تكون الموضوعية الكاملة مستحيلة فلسفياً.  
لكن عدم إمكانية الكمال لا يعني السماح بالتحيز غير المقيد.  
فما تزال الصحافة الأخلاقية ممكنة من خلال:

- الشفافية،
- الإنصاف،
- تنوع المصادر،
- العمق السياقي،
- ضبط اللغة،
- المساءلة التحريرية.

ولعل من الأنسب فهم الموضوعية لا بوصفها حياداً مثاليًا، بل بوصفها إنصافاً منضبطاً.  
وتُظهر تغطية هونيغورد الفشل ليس لأن الصحفيين بشر، بل لأن الاختلال التمثيلي أصبح صارخاً إلى حد بعيد.

#### الأهمية المعاصرة

على الرغم من أن قضية هونيغورد وقعت قبل عقود، فإن أهميتها ما تزال كبيرة.  
فوسائل الإعلام المعاصرة لا تزال توظف قضايا الهجرة، والعرق، والاحتجاج، والهوية الوطنية من خلال سرديات مشحونة عاطفياً.

وقد سرعت الوسائط الرقمية هذه العمليات بصورة هائلة.

فالمنصات الاجتماعية تضخم الغضب والانفعال بوتيرة أسرع بكثير مما كانت تستطيع الصحف التقليدية فعله.

كما تكافئ الخوارزميات المحتوى الذي يثير التفاعل العاطفي.

ولا تزال تأثيرات التأطير قوية للغاية.

فالأمثلة الحديثة المتعلقة باللاجئين، وحركات الاحتجاج، والجدل حول ممارسات الشرطة، والنزاعات الثقافية، تكشف عن أنماط سردية مشابهة.

فقد تُصوّر بعض الجماعات على أنها غوغاء مهذّون أو مدافعون بطوليون، تبعًا للموضوع الأيديولوجي.

ولا تزال الآليات التي وصفها فان دايك حاضرة بشكل لافت حتى اليوم.

ولهذا، تظل الثقافة الإعلامية النقدية ضرورة أساسية.

فلا ينبغي للجمهور أن يستهلك السرديات الإعلامية بصورة سلبية، بل يجب أن يُخضع التمثيل الإعلامي للتحليل والتفكير النقدي.

#### الخاتمة

تظل قضية هونيغورد دراسة حالة كاشفة في مجال التمثيل الإعلامي، والتأطير الأيديولوجي، والخطاب المؤطر عرقيًا.

فبدلًا من تقديم تغطية محايدة لجدل تعليمي، قامت قطاعات واسعة من الصحافة البريطانية ببناء سردية أخلاقية ظهر فيها رأي هونيغورد بوصفه فردًا شجاعًا يدافع عن الحقيقة في مواجهة محتجين غير عقلانيين ومهذّدين.

ويُظهر التحليل النقدي للخطاب كيف أن اختيارات لغوية مثل الغوغاء، والهجوم، والشجاعة أسهمت في تشكيل الفهم العام.

كما عكست هذه التمثيلات توترات أيديولوجية أوسع تتعلق بالعرق، والتعددية الثقافية، والهجرة، والهوية البريطانية.

وتُظهر هذه القضية كيف أن الخطاب الإعلامي لا يكتفي بعكس الواقع، بل يشارك في بنائه بنشاط.

ورغم أن الموضوعية المطلقة قد تكون غير قابلة للتحقيق، فإن الصحافة الأخلاقية تظل ضرورة لا غنى عنها. فالإنصاف، والمساءلة، والعمق السياقي، والوعي بأثر التمثيل الإعلامي، كلها عناصر أساسية إذا أردت وسائل الإعلام أن تسهم بصورة بنّاءة في الحياة الديمقراطية العامة.

وتبقى قضية هونيغورد بمثابة دراسة تاريخية وتحذير معاصر في آنٍ واحد: فالتمثيل الإعلامي ليس محايدًا أبدًا، وللغة الأخبار سلطة عميقة في تشكيل الواقع الاجتماعي.

BBC News. (2003). *Race and media coverage in Britain*.

Demaine, J. (1993). Racism, ideology, and education: The final word on the Honeyford case? *British Journal of Sociology of Education*, 14(4), 409–414.

Hall, S. (1997). *Representation: Cultural representations and signifying practices*. Sage.

Jacobs, D. B. (1988). *Racism in Britain*. Helm.

McCombs, M. E., & Shaw, D. L. (1972). The agenda-setting function of mass media. *Public Opinion Quarterly*, 36(2), 176–187.

Searle, C. (1989). Your daily dose: Racism and *The Sun*. In N. Murray & C. Searle (Eds.), *Racism and the press in Thatcher's Britain* (pp. 21–37). Russell Press.

Van Dijk, T. A. (1991). *Racism and the press*. Routledge.